

صحفي وشاعر ولغوي وسياسي تلقي دعماً من الشبيبي وجواد في مجلته (المكارم)

وشجع العشائر علي اعمار الجانب الايمن من دجلة

السهلاني نقل معارفه من النجف الى مشروع التنوير في البصرة

عبد المجيد فرج الله

قرأت، إذن، مرةً أُخري من خلال نثار شعره المتبقيّ شعرَ الآباء والأجداد، ووقفتُ علي همومه وهمومهم الصغيرة والكبيرة، وأسلوبه الذي لم يكن غريباً عليّ، خاصةً وانني قد ربيتُ في أسرة تتعاطي الأدب والشعر قديمه وحديثه كما تتعاطي شرب الماء..

ولذّ لي ذلك، دون أن يُعكّر صفو مزاجي المستسلم للماضي هبوطاً هنا، أو تكرر هناك، حتي انتظمتُ أغلب الأمواج، وهي تستعيد ما بين أصابعي شكلاً قريباً من شكلها الأول، حينما جمعه ديواناً منذ كان في العراق، قبل أن تبعثه أوراقاً (موجةً، موجةً) يد الزمن الرديء.

فإذا استوي علي سوقه وأعجب، وقدمته إلي قوام نخيل العراق (الجواد السهلاني) فرح به، وكأنّ زمناً هارباً وأياماً غاربة من العمر عادت طوع يديه.

وكان لا بدّ من أن يبدي ملاحظاته وإضافاته، فكانت صوراً ووثائق ونثرأله ولغيره، أراد لها الشيخ السهلاني أن تُعانق نبضه الشعري حتي في ديوانه، وفاء لذكري خلّانه وأبناء حُبّه وإخوة دربه. ولم أكتمه عدم رغبتني في ذلك حفاظاً علي منهجية الكتاب ورشاقته ووحدة موضوعه، لكنّه أصر بلطف، وسكّت بحياء، وكلي احترام لذلك الشعور الفياض الذي يُكنّه لأصدقاء ماتوا وخلفوه، فأبي إلا أن يعيشهم كلّ آن ويحضنهم بشعره وشعوره إلي الأبد.

وبعد:

فمع كلّ ما بُذل من أجل جمع شعره، إلا أنّ الذي ضاع أو فُقد أو حوُصر كثير..

ومع أنّ التباين واضح بين بعض القصائد وبعضها الآخر، إلا أنّ ذلك البعض الذي هو دون صنوه الأول كان نتاجاً في أيام الكبر والمرض، أو بالأحرى في أيام قهر الكبر والمرض لأنه عندما يُطلق بوحه الشعري، فإنه يقول: لا للمرض والوهن والسكوت.. نعم للشباب والحياة والأمل.

هذا الشعر الصارخ بمباشرة هو نفسه شعره الصارخ بمباشرة، لكنه دليل علي عطاء لم ينضب بعد وهذا ما جعلني

أكبره، وهو يتفجّر بحيوية شبابية مفقودة من كثيرين، فإذا بي أنشد مرتجلاً:

شيخ الشباب: عرائس الشعرِ

تفديك بالأرواح والعميرِ

وهجّت في دمها اثتلاقتها

وسكبتها في مطلع الفجرِ

فإذا بها حلمٌ وقافيةٌ

وعميقٌ نجوي في فم الزهرِ
تهفو إليك.. فضمَّها شفقاً
وانشرُ جدائلها علي الدهرِ

علي ضفاف شطّ العرب، وعلي أنغام أمواج الخليج العربي، وعلي ذكريات المربرد البصري، كانت أصدااء القافية العربية مهرةً أصيلة تتواتر في جنبات نجر العراق الباسم. وكان شعراء فحول يتتالون علي منصتها فيتمايل السعف المكتظ، ويشف البلح اللؤلؤي، ويتراقص قوام الحنّاء الرشيق، وتصغي الأرواح وتصيح الأسماع وتطرب القلوب لبيت من هذا، وأقصيدة لذلك. وكان الشيخ السهلاني واحداً منهم فكما عرفته البصرة عالماً وكياًللاً للمرجعية الدينية ردحاً من الزمن، عرفته كذلك أديباً شاعراً مطبوعاً شتّف أسماعها وأسماع أبنائها بقصائد كثيرة فعلت فعلها في ذاكرة الأجيال البصرية، ومعها النجفية؛ حيث كانت في النجف الأشرف ولادته (١٣٣٠ هـ، ١٩١١ م) ودراسته الدينية التي باشرها منذ نعومة أظفاره، حتي توافر علي حصيلة مهمة جداً من علوم الدين والعربية.

ولقد كانت سحنته البصرية التي هي الطيبة والبساطة والرقّة الحانية والوداعة الشفيفة بادية لكلّ من عاشه وعائشه واستمع إليه ونهل منه. وأنت أمامه يتملكك شعور عميق بأبوة هذا الرجل، لكنك لن تحسّ به إلا صديقاً حميماً، بروحيته الشابة الشفافة، ولطافة مجلسه الأريحي.

وقد كتب عنه وترجم له أكثر من واحد من مترجمي رجالات العلم والأدب فهذا الأستاذ علي الخاقاني في كتابه شعراء الغري يقول عنه:

"من الشباب الروحي الذي عني بالأدب زماناً ثم عرّكه الدهر فانتحي عنه جانباً، وهو أحد لداتنا الذين نشأنا معهم في الجامع الهندي، ومن أسرة رmqها المجتمع، وقد واصل الدراسة في النجف منذ النشأة علي يد أساتذة فضلاء، فنال قسطاً من العلوم، ونصبياً من الفضل، وهو اليوم يعيش في ماركيّل من لواء البصرة كمرجع ديني".
وذكره الشيخ الأميني في معجمه قائلاً:

"عالم روحي، وكاتب مبدع، متتبّع، عني بالأدب، وتعاطي النظم، ونال قسطاً منهما، انتقل إلي البصرة واستوطنها".
وقد اقتطفت مجلة (لموسم) في عددها الأول سنة ١٩٨٩ من مستدرك شعراء الغري ترجمة وافية للشيخ محمد جواد السهلاني، منها:

"هو الشيخ محمد جواد بن الشيخ علي بن الشيخ عبد الرضا بن الشيخ جواد الحاج جبر السهلاني الحميري النجفي. عالم جليل، وشاعر أديب من مشائخ العراق المعروفين، وأعلامه المبرزين.
ولد في النجف الأشرف، بمحلّة الحويش، سنة (١٣٣٠ هـ / ١٩١١ م)، وبهذه الحاضرة العلمية الكبرى تربّي ونشأ، وفي ظل أسرته العريقة شبّ بين لداته، وامتاز بين أقرانه رجل علم، وأدب، وفضيلة.

وآل السهلاني من عشائر العراق المعروفة بالقوّة والعدد، ترجع بنسبها العربيّ الوضّاح إلي (حمير) القبيلة الشهيرة التي نزحت فيمن نرح من الجزيرة العربية إلي العراق ابان الفتح الإسلامي المظفّر، وتتحد العشائر الحميريّة في جنوب العراق

خاصة فيما بعضها باتحادات عشائرية، وأهمها عشائر آل سهلان وينضوي تحت هذا الإسم: آل ازيرج، وأسماء أخرى مثل: البوحواله، والبوحميرة، والبوخضير، والبوناصر، والبوطيطوط، والبويوسف. وهناك عشائر أخرى تمت لهذا الاتحاد بالنسب الواحد، مثل: طفيل، والسواعد، وغيرهم الكثير من العشائر التي يصعب تعدادها حيث أن العديد من العشائر العراقية في الجنوب وحوض الفرات تنتسب إلي حمير. أما فروع آل السهلاني خاصة، فإنَّ منها: آل جمعة، والبوكريدي، وآل صبيح، والخميسات، وآل حرامي، والمدليات، والجابر، وعبادة، والمخاصيم، والبوعقيب.

نسب وأسر وبيوتات

ويتصل نسب الشيخ السهلاني ببيت من أشرف السهلانيين ومشائخهم كان يقيم في منطقة (أم الفطور) التابعة إلي (الناصرية)، ومكانهم الأساسي كان (المنتفق) وقيل موضع (النيل) في الحلة عند الفرات الأوسط، ثمَّ انتشروا في الناصرية والعمارة وضواحيهما، فحوالي سنة (١١٥٥هـ / ١٧٤٢م) نزح من أراضي (البدعة) التابعة لقضاء (الشطرة) - عطوان بن ربيع بن محمود - من آل ازيرج، مع أسرة آل محمود، وآل سهلان، والبوسعد، والعبيات، ولهذه الهجرة سبب واحد، هو أنَّ إمارة المنتفق كانت تخشي من قيام إمارة الموالي علي جانب دجلة الأيمن، فصارت تشجع عشائر (الغراف) علي النزوح لهذا الجانب تعزيراً لقوتها، فسكنت تلك الأسر الأربع بالقرب من المجر الصغير، وبعد مضي زمن غير قصير نشأت خصومات بين هذه الأسر الأربع المهاجرة، فعاد إلي (الغراف) كل من (آل السهلان) و (البوسعد).

والأراضي التابعة لهذا الاتحاد العشائري، كانت حتَّى أواسط هذا القرن تشمل ذنائب (المجر الصغير)، وقناة (البتيرة) التي تشمل المستنقعات التي تزرع الشلب، وتقع معظم الأراضي في الدّاخل بعيدة عن نهر دجلة، وتزرع الحنطة والشعير والذرة أيضاً، وكان من المشائخ المعروفين عندهم (سلمان المنشد) و(شواي الفهد). وفي النجف الأشرف من السهلانيين العديد من البيوتات، وبيت المترجم له كان من أرفعها عماداً، وأكثرها اشتهاً بتعاطي الأدب والعلم، مع أسرة آل سبتي الذين هم أبناء عمومهم، ونبغ منهم الشاعر النابغة الخطيب الشهير في عصره الشيخ كاظم آل سبتي السهلاني (١٢٥٨ - ١٣٤٢ هـج / ١٨٤٢ - ١٩٢٣ م) الذي برع بالخطابة الحسينية وتقدم فيها حتي لم يكن في وقته من يماثله أو يشاكلة في سعة الخبرة وطول الباع وعلو الكعب في الضبط وغزارة المادة وحسن الإلقاء وانتقاء المواضيع، واختيار الصحيح المأثور. وممن ذكر الأسرة المؤرخ الشيخ جعفر آل محبوبة، ومما قال عنها: "من بيوت الأدب العربية المنحدرة من أصل عربي صحيح، من عشائر الفرات المعروفة، وهم آل سهلان، وتوجد منهم أفخاذ كثيرة ذات عدد وافر في لواء المنتفق، وهم أهل نجدة وبأس، وآل سهلان الطائفة الفراتية التي تشغل قسماً كبيراً من فرات الكوفة قطنت الفرات من عهد قديم". ومنهم بيت السهلاني في محلة المشراق في النجف، اشتهر منهم الشيخ علي السهلاني، وهو من أهل العلم البارزين، عُرف في الفضل، واشتهر بالعلم، وكان من مشاهير أهل الصلاح، وله بقية حتي اليوم. وأول من نزح إلي النجف من أسرة المترجم له هو والد جدّه الشيخ جواد، وكان من أهل العلم، غير أنَّ ولده الشيخ عبد الرضا (جد المترجم له) بلغ من العلم ما لم يبلغه والده، وقد ولد سنة ١٢٣٥ هـج، وكان من أهل الفضل الموصوفين بالنباهة والفتنة ويعد في طبقة الشيخ جعفر البديري والسيد صالح

السيد حمد الحلبي، وممن أدركه المؤرخ الراحل الشيخ جعفر محبوبة، وقال في وصفه: "هو شيخ كبير حسن الشكل نظيف الثياب معتدل القامة، يعلوه وقار وهيبة، تخرج بعد وفاة الشيخ كاشف الغطاء علي العلامة الشيخ محمد حسين الكاظمي والشيخ محمد طه نجف والآخوند الخراساني صاحب الكفاية، ثم سافر مدة وسكن عربستان بقصد الهداية والإرشاد، وهو من المجاهدين جاهد مع جملة من عربستان وحارب الإنجليز في الحرب العالمية الأولى، ولما تفرقت الجيوش الإسلامية عاد إلي النجف حتي انقضت الحرب، وعاد إلي مقره الأصلي، ثم سكن العمارة وغيرها من البلدان. قضي عمره الشريف بالإرشاد والهداية إلي أن توفي في البصرة سنة (١٣٦١ هـ - ١٩٤١ م)

، ونقل إلي النجف الأشرف ودفن في حجرة الصحن الشريف من جهة القبلة... أنه أحفاده الشيخ محمد جواد بن الشيخ علي يقيم في ماركيل، وهو من أهل الأدب والكمال". ذاق السهلاني مرارة اليتيم وهو في الخامسة من عمره الشريف، فقد انتقل والده الشيخ علي السهلاني إلي جوار ربّه سنة (١٣٣٥ - ١٩١٦) عن عمر يناهز الأربعين،

مخلفاً ولدين وبنتين، الولدان هما الشيخ محمد جواد (المترجم له) والشيخ محمد تقي السهلاني المتوفي سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، وكان الشيخ علي من أوائل المحصلين في العلوم الدينية ومن الشخصيات المرموقة، ومن أقرانه العلامة الحجة الشيخ حسين الحلبي، وكان من زملائه في الدرس، ومن آثاره تعليقة علي حاشية الملا عبد الله في المنطق، ومجموعة شعرية تحمل اسم (الدهر وشجون)، وعلي كلّ حال فقد نشأ - الجواد - تحت رعاية جدّه العلم المجاهد والحجة المفضل، وحظي برعاية أساتذة أكفاء في العلوم الدينية والعربية في جامعة النجف الكبرى، ومنهم الشيخ محمد تقي صادق العاملي والشيخ محمد طه الكرمي والشيخ محمد علي الدمشقي والشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء والشيخ محمد جواد الجزائري، وحضر بعض الوقت - بحث الخارج - لدي السيد أبو الحسن الإصفهاني، ومن أقرانه في التحصيل السيد موسى آل بحر العلوم والشيخ محمد جواد الشيخ راضي والشيخ عبد الوهاب الشيخ راضي والشيخ علي الخاقاني، والحقاقني رحمه الله أشار إلي هذه الفترة من الزمالة مع شيخنا الجواد بشيء من الإكبار...

الشاعر مصلاً وداعية

عاني الشيخ السهلاني صياغة النظم في سنّ السادسة عشر، بتشجيع من المرحوم الشيخ مهدي الحجّار، وكان يعرض ما ينظمه علي أستاذه الحجّار فيصلحه له ويهدبه، وكان لأستاذه دور في تنمية هذه الموهبة لديه إذ كان يُلزمه بحفظ شعر المتنبي والأرجاني ويمتحنه يومياً ويتابعه لأجل ذلك، وكذلك فإنّ للبيئة النجفية التي جُبلت علي حب الشعر وإنشاده وتعاطيه أثرها البين، وأوّل ما نظمه قوله في الحنين إلي النجف الأشرف بعدما انتقل منها مع جدّه الذي اختاره المرجع الديني في عصره السيد أبو الحسن الإصفهاني ليكون ممثلاً عنه في العمارة...

ويضمّ ديوانه المخطوط الذي سمّاه (الأمواج) أكثر من أربعين قصيدة ومقطوعة، جلّها في الإخوانيات والمناسبات، وهناك مقاطع لا تخلو من النادرة الذكية، كقوله في وزارة الباججي:

سقطت وزارتنا، وشكّل غيرها

لا خير في الأولى ولا في الثانية

الرأس فيها الباجيُّ، وكلُّهم يتنازعون علي كراع الماشية

ويعكس السهلاني نظرتَه لمنظوماته فلا يجانب الحقيقة، ويبدو بواقعيته الصافية في وصف شعوره، كصفاء روحه، وسلامة ضميره، وتواضعه الجَمِّ. وaban وجود السهلاني في العمارة إتجه لمزاولة الصحافة، وعقد العزم علي ذلك، فأصدر مجلة (المكارم) أواخر الثلاثينيات، وساهم فيها عدد من الباحثين المرموقين، كالشيخ محمد رضا الشبيبي، والدكتور مصطفى جواد وغيرهم، وكان هذا العدد اليتيم طافحاً بالنقد للحكومة آنذاك، وما هان علي أعداء المكارم أن يرتفع مثل هذا الصوت الحر بين ظهرانيهم فأقبروا هذا المشروع وهو في أول ثمراته.

بعد ذلك صرف نظره عن الصحافة، إلي مجال الخدمة الدينية والإجتماعية، وهو مجال يليق به وبأسرته الذائعة الصيت بطيب المحتد والكرم والأصالة، خاصة بين الأوساط العشائرية في الجنوب العراقي، واشتغل في مجال الدعوة والإرشاد بحماس الشباب وحنكة الشيوخ، واستطاع أن يبرز في تلك الأوساط كواحد من المصلحين المحترمين، حتي أن أهالي البصرة بعثوا الوفود إلي النجف لاستحصال موافقة المرجع الديني الإمام السيد محسن الحكيم لينضم السهلاني إلي أسرة علماء هذه المدينة الكبرى، فلبّي نداء الواجب وحط رحاله فيها، وقام فيها بخدمات جليلة، ومن بوادره الخيرة التي تعكس ولائه الصادق لأهل البيت النبوي - عليهم السلام - تأسيسه لموكب النصر الحسيني الذي كان يؤم العتبات المقدسة في المناسبات الدينية، وكذلك سعيه نحو الوحدة الإسلامية بخطوات عملية، بإقامته للاحتفالات السنوية بمناسبة استشهاد الإمام علي (عليه السلام) وكان يحاضر فيها نخبة ممتازة من علماء وأدباء العراق؛ من الفريقين، ثم تجمّع هذه النتائج ضمن كتاب يصدر سنوياً ويوزّع بالمجان. ولا ننسي مبرّات السهلاني ومشاركته في مؤسسات الرعاية الخيرية والإجتماعية. ومن آثاره الخالدة تأسيسه المسجد الكبير في محلّة الأصمعي بالبصرة، والذي يعرف (بجامع الشيخ السهلاني) ويعد من أكبر مساجد البصرة، مساحته ثلاثة آلاف متر مربع، وقد أنشأه سنة (١٣٨٥ هـج / ١٩٦٦ م) وأرّخ البناء غير واحد من الشعراء كالسيد موسي بحر العلوم، ومحمد جواد جلال، والشيخ أحمد الوائلي... وتعرّض السهلاني من أجل بنائه لمضايقات كثيرة من بعض المرتزقة المحسوبين علي مؤسسة الأوقاف، إلا أنه استطاع أن يتجاوز ذلك بصبر وأناة وجلد، وأن يتمّ بناء مسجده.

نفيه إلي داقوق.. الحوزة والشيوعية

بعد عام ١٩٥٨ م واجه العراق فترة عصيبة من المد الشيوعي، ووقفت الحوزة العلميّة في النجف الأشرف في مقابل هذا التيار، وأصدرت الفتاوي وجنّدت كل طاقاتها وإمكاناتها ضده، وكان علماء الدين في مقدّمة الذين تطوعوا للدفاع عن حياض الإسلام وكشف انحراف النظام وزيف المبادئ الشيوعية التي كاد يفتتن بها الشباب، وطفق الخطباء يطوفون العراق من أقصاه إلي أقصاه في سبيل التبليغ والإرشاد وحمل فتاوي النجف وشرحها وبيان موقف المرجعية من المد الأحمر. وفي البصرة كان النزاع علي أشده، ونزل علماؤها إلي ميدان التّوجيه وإيضاح الموقف الديني وكشف التباسات الواقع الذي كانت تحتمي به تلك الزّمر الحاكمة علي الدين، وقام السهلاني بنشاطات واسعة في صدها عن تحقيق هدفها مما حدا

بالسلطات إلي مضايقته، فأصدر الحاكم العسكري صالح العبدى أمراً بإبعاده إلي (داقوق) من محافظة (كركوك) وفرضت عليه الإقامة الجبرية هنالك، وتدخّلت المرجعية للإفراج عنه ورجع ولكن إلي كربلاء أخذاً بنصيحة الإمام الحكيم، وبعد أن خفّت حدّة التوتّر رجع إلي البصرة مزوداً بكتاب للإمام الحكيم في وجوب مؤازرته ومعاضدته والالتفاف حوله.

آثاره:

١- ديوان شعر - مرّ وصفه وهو بعنوان الأمواج ..

٢- الأحوال الشخصية، ومصدرها القرآن الكريم.

٣- رسالة موجزة في علم المنطق.

٤- المسائل الشرعية والعقل السليم.

سفراته:

سافر ثلاث مرات لحج بيت الله الحرام، وطوّف غير مرّة في مصر، والأردن، ولبنان، وفلسطين، وإيران، وتركيا، والبحرين، والكويت، والمملكة المتحدة، وأمريكا.

وغادر العراق عام ١٩٨٢ إلي الكويت، وبعد عام تقريباً لحق بالشام ومازال فيها، ويقوم بممارسة بعض النشاطات الدينية والاجتماعية بما يناسب شيخوخته، وقد ما تسمح بها نفسيته المتعبة لما لحقه من الأذى والغربة بما يعبر هو بقوله

في ذلك:

وها إنّي بليتٌ بكلّ رزءٍ

تخرُّ لهوله شُمُّ الجبالِ

تكاثرت الهمومُ عليّ حتّي

(تكسّرت النصالُ علي النصالِ)

٢٠٠٦/٧/٢ Azzaman International Newspaper - Issue 2736 - Date

جريدة (الزمان) الدولية - العدد ٢٧٣٦ - التاريخ ٢٠٠٦/٧/٢

AZP07